فضل الله تعالى على العباد في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

دكتور/ أحمد بن إبراهيم بن ناصر العبودي
أستاذ القرآن وعلومه المساعد
قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة – كلية التربية
جامعة المجمعة

المستخلص : جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وثمان مباحث، وخاتمة، وفهرس المراجع .

أما المقدمة فضمنتها منهجي في البحث، وأهميته وأسباب اختياره؛ ومشكلة البحث؛ والدراسات السابقة؛ وأهداف البحث، وخطة البحث، ثم انتقلت إلى التمهيد؛ حيث ذكرت عدد آيات الفضل وتصنيفها، وتم تقسيم الدراسة إلى ثمان مباحث تضمن الأول: المراد بالفضل؛ وبيان المرادفات، وأوجه الاستعمال، والثاني: عظمة فضل الله جل جلاله، والثالث: فضل الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام، والرابع: فضل الله تعالى على عموم الناس، والخامس: بشارة المؤمنين بفضل رب العالمين ،والسادس: تقصير العباد بشكرهم فضل ربهم، والسابع: الفرح بفضل الله تعالى، والثامن: سؤال المؤمنين فضل الله تعالى . ثم انتهيت إلى الخاتمة وضمنتها أبرز نتائج البحث وأهم التوصيات.

الكلمات المفتاحية : الفضل– دراسة موضوعية– القرآن الكريم.

The Virtue of Allah, the Almighty, to worshipers in Holy Quran – An Objective Study

Dr. Ahmed Bin Ibrahim Bin Nasser Alaboudi

Assistant Professor of Holy Quran and Sciences in Islamic Studies Department at Almajmaah University

Abstract:

Abstract: the research consisted of an introduction, preliminary, eight researches, Conclusion and References .

In introduction, I included my methodology in the research, its importance and the causes of selecting it, the research problems, references/ Previous studies, research objectives and research plan. Then I transferred to the preliminary, in which I have mentioned a number of the virtue and its classification. The study divided into eight research, where the first research included: what is meant by the virtue, statement of synonyms, the ways of their using. The second research: The greatness of the virtue of Allah, the Almighty. The Third Research: the virtue of Allah, the Almighty on his messengers, may peace and prayer be upon them. The Fourth Research. The virtue of Allah, the Almighty to all people. The Fifth Research :

Presaging believers by the virtue of the Almighty. Then I ended with conclusion in which I have included the most eminent results of the research as well as the most important recommendations .

Key Words: The virtue – An Objective Study – Holy Quran

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن فضل الله تعالى على عباده المؤمنين، هو توفيقه وهدايته وتأييده لهم في الدنيا، وفي الآخرة بما يجازيهم على أعمالهم بالجنة التي عرضها السماوات والأرض قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٧] وهذه الآية هي بُشرى من الله تعالى لكل مؤمن بفضله الكبير، في الدنيا والآخرة

فالفضلُ الحقيقيُ كله بيد الله جل جلاله، يؤتيه عباده الذين تَمسكَوا بدينه وحافظوا على شرائعه، وأما إذا تركوا دينَه وخالفوا شريعتَه، فسيأتي اللهُ تعالى بقوم يستحقُّونَ فضل الله سبحانه: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة: ٥٤] بل إن أعظم فضل من الله سبحانه على عباده، هو تزكيتُهم وهدايتُهم في وقت الفتن من الضَّلال كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١ ﴾ [النور: ٢١] ، فهو وحده الذي طهَّرَ العباد من شركها وفجورها وفساد أخلاقها وأعمالها، فإذا كان العبد ثابتاً على الحق والإيمان، مخالفاً طريق الشر والشيطان، فقد أدرك فضل الله تعالى ورحمة كما قال تعالى : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [النساء: ٨٣]

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ ه) في الفتاوى فصلاً في بيان تفضل الله على العباد فقال رحمه الله: " والله سبحانه قد تفضل على بنى آدم بأمرين، هما أصل السعادة: أحدهما: أن كل مولود يولد على الفطرة، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جَمْعَاء، هل تحسون فيها من جَدْعاء؟" ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾، قال تعالى:﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ

حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

الثاني: أن الله تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم بالفطرة من المعرفة وأسباب العلم، وبما أنزل إليهم من الكتب، وأرسل إليهم من الرسل، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ – ٤] وقال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ١ – ٣]، وقال تعالى:﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[البلد: ١٠]".(١)

ومهما ارتفع العباد في دينهم ودنياهم؛ فإن ذلك كله بفضل الله تعالى وإنعامه عليهم ولهذا قال يوسف عليه السلام حين رأى من كرم الله تعالى وفضله عليه حين جمع شمله ، ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١ ﴾ [يوسف: ١٠١]

ولأجل ذلك كان هذا البحث وعنوانه: "فضل الله على العباد في القرآن الكريم" دراسة موضوعية، نسأل الله السداد التوفيق.

منهج البحث: اتبعت في البحث المنهج الوصفي للتفسير الموضوعي، وقد قمت بجمع الآيات الكريمة الواردة بهذا اللفظ القرآني وترتيبها ومناسباتها، التي ترد في موضوع فضل الله تعالى على العباد، واستنباط الدلالات والمعاني والأحكام منها ، وذكر القراءات، وأسباب النزول إن وجدت، وعزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به وإلا خرجته من مظانه قدر الإمكان، ولم أترجم للأعلام الواردة في البحث لئلا يطول البحث، وأخيراً وضعت الفهارس اللازمة للبحث.

مشكلة البحث : يمكن للبحث أن يجيب عن الأسئلة الآتية :

١– لمن يكون الفضل في القرآن الكريم ؟

٢– ما هي أهم الأسباب التي يتحقق بها فضل الله تعالى على العباد ؟

٣– ما هي أبرز موانع فضل الله جل جلاله على العباد ؟

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٩٥)

أهمية البحث وأسباب اختياره :

١-إن موضوع (فضل الله تعالى على العباد في القرآن الكريم) يحتوي على مادة علمية جديرة بالبحث .

٢-بيان أهمية البحث في إبراز معاني ودلالات الفضل المتعددة في سياقات القرآن الكريم.

٣-إن موضوع البحث مُتعلّقٌ بفهم القرآن الكريم، وتدبره، والعناية بمعانيه .

٤-تنوع زمن الفضل الوارد في آيات القرآن الكريم، فتارة يكون في الدنيا، وتارة يكون في الآخرة ، مما يدعو إلى السعي للبحث عن تغاير المعنى أو اتفاقه .

الدراسات السابقة : وجدت من الدراسات السابقة لهذا الموضوع بحثين؛ الأول بعنوان:

- آيات الفضل وأثرها في التنمية الاقتصادية، إعداد: د. عبد الواحد عثمان مصطفى، منشور في أحدى المجلات التابعة لجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بالسودان، عام ١٤٢٧هـ تناول فيه ثلاثة مباحث؛ الأول ذكر جزء من تفسير الآيات التي وردت فيها كلمة الفضل، والثاني المفهوم الاقتصادي للفضل والفضيلة، والثالث تعرض الباحث إلى تجربه السودان في بناء مجتمع الفضيلة من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية .

وقد اطلعت عليه، فوجدته يختلف عن بحثي حيث إن بحثي يتعلق بالفضل في إبراز معاني ودلالاته المتعددة في سياقات القرآن الكريم، وعدد الآيات وتصنيفها، وبيان المرادفات، وأوجه الاستعمال، والأسباب والدلالات .

والآخر بعنوان:

- الفضل في القرآن الكريم، إعداد: عوني عدنان كميل ، وهي رسالة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، عام ٢٠١٦م ، وقد تناول الباحث الفضل في القرآن بمعناه العام في موضوع التفاضل ما بين الأنبياء والرسل، وما بين الرسل أنفسهم، مع ذكره لأدلة التفاضل بينهم، ومظاهر التفاضل، وفضله على بني إسرائيل، وتحصيل الإنسان لفضل الله تعالى.

وقد اطلعت عليه فوجدته أيضاً يختلف عن بحثي من جهة التفسير، والتقسيم باعتبار أن بحثي يتكلم عن الفضل بالمعنى الخاص في عظمة فضل الله جل جلاله لعباده في القرآن

الكريم، وفضل الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام، وفضل الله تعالى على عموم الناس.

أهداف البحث :

١-معرفة عدد ورود مفردة (الفضل) في القرآن الكريم، ومعرفة ألفاظها؛ إفراداً وجمعاً.

٢-تصنيف آيات الفضل في القرآن الكريم من جهة المعنى .

٣-استنباط توجيهات القرآن الكريم لمعرفة أن الفضل لمن آمن بالله تعالى وبرسله ، وذلك من الآيات الواردة .

٤- الكشف عن مصادر الفضل، وأسبابها، وزمنها في القرآن الكريم .

خطة البحث: واشتمل هذا البحث على الخطة التالية: مقدمة، وتمهيد، وثمان مباحث، وخاتمة، وفهارس

المقدمة: وفيها منهج البحث، وأهميته وأسباب اختياره؛ ومشكلة البحث؛ والدراسات السابقة؛ وأهداف البحث، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه عدد الآيات وتصنيفها .

المبحث الأول: المراد بالفضل؛ وبيان المرادفات، وأوجه الاستعمال.

المبحث الثاني: عظمة فضل الله جل جلاله .

المبحث الثالث: فضل الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الرابع: فضل الله تعالى على عموم الناس .

المبحث الخامس: بشارة المؤمنين بفضل رب العالمين .

المبحث السادس: تقصير العباد بشكرهم فضل ربهم .

المبحث السابع: الفرح بفضل الله تعالى .

المبحث الثامن: سؤال المؤمنين فضل الله تعالى .

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث والتوصيات.

التمهيد: وفيه عدد الآيات وتصنيفها ؛ والفضل في الاستعمال القرآني الخاص بالعبـــاد ، جاء ذكره في ست وتسعين آية على اختلاف ألفاظها: إفراداً، وجمعاً ، وهي كما يلي:

ورد بلفظ الإفراد: " الفَضل " في خمسة وأربعين موضعاً في سبعة عشر سورة .

وورد بلفظ الإفراد: " فَضَّل " في خمسة مواضع في سورتين .

وورد بلفظ الإفراد: " فضلاً " في عشرة مواضع في تسعة سور.

وورد بلفظ الإفراد: " فضله " في تسعة وعشرين موضعاً في أربع عشرة سورة .

وورد بلفظ الإفراد: " تفضيلاً " في موضعين في سورة الإسراء .

وورد بلفظ الجمع : " فضَّلتُكُم " في موضعين في سورة البقرة .

وورد بلفظ الجمع : " فضَّلكم " في موضع واحد في سور الأعراف .

وورد بلفظ الجمع : " فضَّلنا " في موضعين في ثلاث سور .

المبحث الأول: المراد بالفضل؛ وبيان المرادفات، وأوجه الاستعمال.

المراد بالفَضْل: الزّيادة عن الاقتصار، أو الزيادة في الخير، وذلك ضربان: محمودٌ : كفضل العلم والحلم ، ومذمومٌ : كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه. والفَضْلُ في المحمود أكثر استعمالاً، والفُضُولُ في المذموم، والفَضْلُ إذا استعمل لزيادة أحد الشيّئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرُب: فضل من حيث الجنس ، كفضل جنس الحيوان على جنس النّبات. وفضل من حيث النّوع، كفضل الإنسان على غيره من الحيوان... وفضل من حيث الذّات ، كفضل رجلٍ على آخر... ، وكلّ عطيّة لا تلزم من يُعْطِي يقال لها : فَضْلٌ، ويقال: رجلٌ مِفْضالٌ: كثيرُ الفضل والخير والمعروف، وامرأةٌ مِفْضالةٌ على قومها: إذا كانت ذات فضلٍ سمحةٍ. (١)

وإذا تتبعنا الدلالات والمعاني المرادفة لآيات الفضل في القرآن الكريم، نجد أنها لا تخرج عموماً عن عشرة أوجه في الجملة، وهي كما يلي:

الأول : الإنعام بالإسلام. ومنه قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة: ٤]

الثاني : الإنعام بالنبوة . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٧]

الثالث : الرزق في الدنيا . ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [النساء: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر: ١٢].

(١) كتاب العين، للفراهيدي (٤٣/٧)؛ وتهذيب اللغة، للأزهري (٢٩/١٢)؛ والمحيط في اللغة، للصاحب بن عباد (٢١/٨)؛ والصحاح، للجوهري (١٧٩١/٥)؛ ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥٠٨/٤)؛ ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب (٦٣٩) ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي (٢٨١/٣) ؛ وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (١٧١/٣٠).

الرابع : الرزق في الجنة . ومنه قوله تعالى: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، وقوله تعالى: ﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧١] وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء: ١٧٥].

الخامس : الجنة . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٧].

السادس : المنة والنعمة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يوسف: ٣٨] وقوله تعالى : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾ ﴾ [النور: ١٠، ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ ﴾ [النور: ٢٢]

السابع : الخلف . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

الثامن : التجاوز . ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس: ٦٠]

التاسع: التجارة، ومنه قوله تعالى:﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٩٨]

العاشر: العطية، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾ [يونس: ١٠٧] (١)

المبحث الثاني: عظمة فضل الله جل جلاله .

لقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تُذكّر بني إسرائيل بنعم الله تعالى عليهم وفضلهم دون غيرهم من سائر الناس لكنهم قابلوا فضل الله تعالى عليهم بالجحود والعناد، فنزع الله سبحانه عنهم هذه النعم، وغضب عليهم وابتلاهم بالذلة والصغار والفقر؛ وهذا من موانع فضل الله تعالى على عباده قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ

(١) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، لمقاتل بن سليمان (١٤٠)؛ والوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لهارون بن موسى ١٢٨- ١٢٩)؛ وتحصيل نظائر القرآن، للترمذي (١٢٦)؛ والوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (٣٨٥)؛ وجوه القرآن، للحيري (٢٥٣)؛ والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدامغاني (٣٦٦)؛ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي (٤٧١)؛ وبصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي (١٩٦/٤)؛ وكشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد (١٨٥) .

عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [البقرة: ٤٧] فالله تعالى أخذ الميثاق على بني إسرائيل وطالبهم بالانقياد لدينه وأحكام شرعه ورفع جبل الطور فوقهم؛ رفعه الله تعالى بقدرته فوق رؤوسهم، حتى يذعنوا للميثاق، ويرضوا به، ويتمسكوا بالشريعة التي كلفوا بها قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٦٣] وهو سبحانه يذكّرهم بالنعم التي تفضل بها عليهم، ومع كثرة هذه النعم التي أنعم بها عليهم دون غيرهم من الناس قابلوها بالعناد والإستكبار

وأراد بقوله جل جلاله: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ عالمي زمانهم . (١)

والخطاب للموجودين منهم في ذلك الوقت والمراد به سلفهم، ولكن في تفضيل الآباء شرفاً للأبناء، ولذلك قال لهم: ﴿ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ . (٢)

وتفضيلهم على غيرهم، بما أعطاهم الله من النعم التي لم يعطها أحداً من العالمين، وجعل فيهم الأنبياء والملوك، ولأنهم كانوا أصحاب دين سابق، وغيرهم كانوا يعبدون الأوثان؛ فلذا فضلوا على غيرهم.

ومع ذلك كله أعرضوا عن طاعة الله تعالى، وهجروا أحكام التوراة، وبدلوا فيها وغيّروا، فأمهلهم وأخر العقوبة عنهم بفضله العظيم قال جل وعلا: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[البقرة: ٦٤]

فقوله جل جلاله: ﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ تعني: " بتأخير العذاب عنكم " . (٣)

والكفار لا يحبون أن يُنزّل الله تعالى على المؤمنين من فضله وخيره العظيم، فإحسانه على عباده من محض فضله، ومن فضله العظيم حين أنزل القرآن الكريم، وبعثة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، وسواء كان الكفار من أهل الكتاب أو من المشركين فإنهم يحسدون المسلمين على إسلامهم واتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويعلمون أن الله

---

(١) ذكره ابن جرير عن قتادة وأبي العالية ومجاهد وابن زيد، وقال ابن جرير: « أخرج مخرج العموم ويراد به الخصوص » (١/ ٢٦٤ – ٢٦٥)، وذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن (٤٨) وقال: « وهو من العام الذي أريد به الخاص » ؛ وانظر: بحر العلوم، للسمرقندي(٥٠/١)؛ والكشف والبيان، للثعلبي (٦٩/١)؛ والتفسير البسيط، للواحدي (٤٦٧/٢)؛ وتفسير القرآن، للسمعاني (٧٥/١)؛ والمحرر الوجيز ،لابن عطية (٢٨١/١)؛ وزاد المسير، لابن الجوزي (٧٦/١)؛ ومفاتيح الغيب، للرازي (٤٨٤/٣)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٢١/١)؛ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٧٨/١)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (/١ ٩٤)؛ والبحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (٣٠٦/١)؛ وتفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي (١١/١)؛ والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني (٥٦/١)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (٩٨/١)؛ وروح البيان في تفسير القرآن، لإسماعيل حقي (١٢٦/١) ومحاسن التأويل، للقاسمي (٣٠٢/١) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٦٤/١)؛ ومعاني القرآن، للزجاج (/١ ٩٧)؛ والمحرر الوجيز، لابن عطية (٢٨١/١).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوجيز (١١٠/١)؛ والثعلبي في الكشف والبيان (٢١٢/١)؛ وابن جرير في جامع البيان (٣٢٨/١)؛ وقال الزجاج في معاني القرآن (١٢٠/١)، عند قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: " بعد الآيات العظام " ، وقال الماوردي في النكت والعيون (٣٥٥/١): " من بعد خروج موسى من بين أظهركم ". وقد ذكر ابن جرير عن أبي العالية: فضل الله: الإسلام، ورحمته: القرآن، جامع البيان (٣٢٨/١)، ونحوه عند الماوردي في النكت والعيون (٣٥٥/١)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز عن قتادة (/١ ٣٣٢ – ٣٣٣)، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (/١ ٢٤٤) .

منَّ بفضل كبير على المسلمين ، فيجب أن يعرف المسلمون قدر هذه الفضل العظيم التي أنعم الله بها عليهم، وخصهم به، واصطفاهم له؛ قال سبحانه: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥ ﴾ [البقرة: ١٠٥]

قال ابن جرير (ت ٣١٠ ه) : " وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداء وتفضلا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه " . (١)

ولقد بلغ من مكر اليهود وشدة تعصبهم لدينهم وحسدهم للمسلمين بسبب فضل الله تعالى عليهم، ألَّا يُذيعوا للمسلمين نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم، كراهة أن يُعطَى أحد مثل ما أُعطوا من النبوة والكتاب، ولا يُظهروا ما عندهم من العلم للمسلمين، حتى لا يتعلموه، ويكون عليهم حجة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣ ﴾ [آل عمران: ٧٣]

فالآية تنقض قولهم وتبين بأن الفضل من الله جل جلاله يعطيه من يشاء، ويمنعه عمن يشاء، وفضله سبحانه يسع جميع الخلق، كما أن علمه وسع كل شيء .

ثم جاءت الآية التي بعدها تبين فضله العظيم باختصاص هذه الأمة المسلمة برحمته العظمى ومنته الكبرى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيهم، وأن الله سبحانه لم يجعل الرسالة والكتاب في أهل الكتاب بسبب نقضهم للعهود، وما عرفوا من الحق ولبَّسوه بالباطل فخص هذه الأمة بالفضل العظيم والرسول الكريم قال سبحانه: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤ ﴾ [آل عمران: ٧٤]

لقد تفضل الله تعالى على المتمسكين بشريعته المتبعين لهدى نبيه صلى الله عليه وسلم، الباذلين أرواحهم في طاعته وإعلاء كلمته، الصادقين المخلصين في أقوالهم وأفعالهم، بوصولهم إلى المقامات العالية الرفيعة، مقامات النبيين والصدقين والشهداء والصالحين.

إن طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم سبب للفوز بفضل الله تعالى، ومرافقة الذين أنعم الله عليهم الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة، قال سبحانه:

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٣٨٧/٢) .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠]

فأخبر سبحانه بأن بلوغهم هذه المراتب العالية في الجنة فضل تفضَّل الله تعالى به عليهم بعبادتهم وأعمالهم فما نالوا هذه الدرجات في الآخرة إلا بفضله سبحانه، فلا ينبغي لأحد أن يغتر بعمله، ويدخل في قلبه العجب، فالله سبحانه هو الذي وفق العبد إلى هذه العبادات والطاعات وأعانه عليها، فالفضل منه جل جلاله أولاً وآخراً .

فقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ ﴾ أي ذلك الثواب، وهو الكون مع النبيين والصديقين فضلٌ من الله، تفضل به على من أطاعه، وكل ما يفعله الله عز وجل من منافع العباد فهو فضل وتفضّل وإفضال؛ لأنه زائد على مقدار الاستحقاق؛ لأن العبد لا يستحق على مولاه بطاعته شيئاً . (١)

لقد حذرنا الله تعالى من نشر الإشاعات والأراجيف الكاذبة التي يستفيد منها الأعداء في أوقات الحروب والأزمات، فكثيراً ما يعمد العدو إلى إشاعة أخبار كاذبة عن هزيمته، فيأمن الناس ويتركون أسباب الحذر فيباغتهم العدو، لكن فضل الله علينا عظيم حيث شرع لنا أسباب السلامة والوقاية، ونبهنا وحذرنا من مكائد عدونا، وأمرنا بالتثبت من صحة الأخبار، وذلك بسؤال أهل الخبرة والاختصاص، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣ ﴾ [النساء: ٨٣]

قال الضحاك (ت ١٠٥ه) : " هدى الكل منهم للإيمان ، فمنهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك ، ولا عنت له شبهة ارتياب، وذلك هو القليل، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان، ويكون الفضل معيناً أي : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، لأن الكل إنما هدي بفضل الله على الإطلاق" (٢).

لقد تفضل الله تعالى على عباده المتقين بأن يجعل لهم نوراً وهداية في قلوبهم يفرقون بها بين الحق والباطل، فإن من اتقى الله جل جلاله بفعل أوامره واجتناب نواهيه وفقه

(١) جامع البيان في تفسير آي القرآن، للطبري (١٦٤/٥)؛ وبحر العلوم، للسمرقندي (٣٦٧/١)؛ والتفسير الوسيط، للواحدي (٦١٥/٢)؛ ومعالم التنزيل ، للبغوي (٢/ ٢٤٨)؛ ومفاتيح الغيب، للرازي (١٧٥/١٠).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١٠١/٢)؛ والبحر المحيط، لابي حيان (٣٢٠/٣) .

سبحانه لمعرفة الخير من الشر، وتكفير السيئات وغفران الذنوب والتجاوز عنها، فضلاً من سبحانه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾ [الأنفال: ٢٩]

قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ه) : " وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ تذييل وتكميل وهو كناية عن حصول منافع أخرى لهم من جراء التقوى" (١).

لقد وعد الله المؤمنين بأن يغنيهم من فضله العظيم بسبب منع المشركين من الحرم، وانقطاع ما كان أهل مكة يستفيدونه من قدومهم عليهم من المكاسب والأرزاق، فخافوا من الفقر، فالرزق بيد الله جل جلاله فلا ينغلق باب من أبواب الرزق على العبد إلا ويفتح عليه أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصاً لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، فإن الله تعالى أجود الأجودين وأكرم الأكرمين سبحانه؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾ [التوبة: ٢٨] فالرزق متعلق بمشيئة الله تعالى وتقديره، فأغناهم سبحانه بفضله، فانتشر الإسلام في أرض العرب، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتفضل عليهم ففتح عليهم الفتوح حتى غنموا كنوز كسرى وقيصر .

وسبب نزول الآية: " كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام، ويَتَّجرون فيه، فلما نُهُوا أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا طعام؟ فأنزل الله: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ ، فأنزل عليهم المطر، وكثر خيرهم، حتى ذهب عنهم المشركون " (٢) .

لقد أثنى الله تعالى على الصحابة الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثاني من غزوة أحد يتبعون المشركين، رغم ما أصابهم من التعب والجراح، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرعب المشركين، ويريهم أن المسلمين لا زالوا بقوة وخير، فشهد الله تعالى فضل استجابتهم لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم للجهاد فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]

(١) التحرير والتنوير (٧٩/٩) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤٠٠/١١) ؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٧٧٧/٦)؛ ولباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي (١٠٣/١) .

فاستأجر أبو سفيان(ت ٣٢ه) بعض التجار المسافرين جهة المدينة؛ ليثبطوا المسلمين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويشيعوا بينهم أن قريشاً خرجت بجمع كبير لا طاقة للمسلمين به، لكن هذه الشائعات لم تؤثر في نفوسهم، بل زادتهم إيماناً بالله تعالى وثقة بنصره فخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم متوكلين على ربهم جل جلاله فأثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]

ثم جاءت الآية الثالثة تبين نتيجة خروجهم متوكلين على ربهم جل جلاله مستجيبين لأمر نبيهم عليه الصلاة والسلام فنالوا بذلك رضوان الله تعالى وزادهم من فضله العظيم بقوله سبحانه: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤]

" لما فوضوا أمورهم إليه، واعتمدوا بقلوبهم عليه، أعطاهم من الجزاء أربعة معان: النعمة، والفضل، وصرف السوء، واتباع الرضا. فرضَّاهم عنه، ورضي عنهم" (١)

فالله جل جلاله مدح عباده المؤمنين بما هم عليه من الصفات الكريمة والأوصاف العظيمة، والفضائل الجليلة، من محبة الله تعالى لهم، ومحبتهم لله تعالى، ورحمتهم بالمؤمنين، والشدةِ على الكفار، والجهاد في سبيل الله إنما هو فضل الله تعالى وإحسانهُ يتفضل به على من يشاءُ من عباده، وقد بين أنه تفضل منه ليتذكر العبد نعم الله عليه ولا تعجبه نفسه فيدخل عليه الكبر والترفع على عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤]

قال السعدي (ت ١٣٦٧ه) : " ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم منَّ الصفات الجليلة والمناقب العالية المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير – أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرُهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال : ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته كل

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٨٢/٤)

شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا " .(١)

لقد بين الله جل جلاله في كتابه ما يكون عليه حال العبد الذي وحد الله تعالى فسأله المغفرة على ما مضى من ذنوبه وتاب إلى الله بالندم على ما فات، والإقلاع في الحال، والعزم على عدم العودة؛ فإنه يعيش في أمن وراحة ورضا في نفسه، فيُمتع في الدنيا بالحياة طيبة، ويعطى في الآخرة كل صاحب فضل في دينه جزاء فضله، ويعطي أهل الإحسان من فضله بعد أن تفضل عليهم في الدنيا بالرزق والبركة فالله سبحانه وعد أهل الفضل بجزيل الثواب قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود: ٣]، قال قتادة (ت ١١٨ه) في قوله تعالى:﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ يعني في الآخرة، والمعنى: يعطي كل ذي عمل صالح أجره وثوابه، وأراد: ويؤت كل ذي فضل ثواب فضله، أو جزاء فضله ". (٢)

إن من عظمة فضل الله جل جلاله على المؤمنين في الآخرة أنهم يطلبون إحضار ما يشتهون من الفواكه وهم آمنون من كل سوء، فالأمن مصاحب لهم في كل شيء، في مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم ومجالسهم، فلا خوف يكدر عليهم صفاءهم ويشغل بالهم، ولا يذوقون في الجنة الموت سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ثم الوقاية من عذاب الجحيم، وهذا الأمن والنعيم والوقاية، كلُّه فضل من الله تعالى تفضل به عليهم، وهذا الذي نالوه من النعيم في الجنة نالوه تفضلاً من الله قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان: ٥١ – ٥٧]

فليس هناك فضل أعظم من النعيم الذي يكون في الآخرة حيث يتنعم المؤمن بالحياة الدائمة التي لا كدر بعدها ولا تعب حيث خصص الفوز العظيم بالفضل، نسأل الله الكريم من فضله.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٢٣٥) .

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن، للطبري (٢٣١/١٥)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (١٩٩٧/١٦) ومعالم التنزيل، للبغوي (١٦٠/٤)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/٩)

قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ه) : " وجملة ذلك هو الفوز العظيم تذييل، والإشارة في ذلك هو الفوز العظيم لتعظيم الفضل ببعد المرتبة، وأتي بضمير الفصل لتخصيص الفوز بالفضل المشار إليه وهو قصر لإفادة معنى الكمال كأنه لا فوز غيره " (١).

والله جل جلاله بين فضله على المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان؛ وجعل هذا التدرج لبيان كمال فضل الله ونعمته فقال تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ ﴾ [الحجرات: ٧ – ٨]

قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ه) : " لأن ذلك التحبيب والتزين والتكريه من نوع الفضل والنعمة " (٢)

لقد حثنا القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى المسابقة والمسارعة إلى مغفرة الله جل جلاله وجنته التي عرضها كعرض السماء والأرض، قد هيئت وخلقت للذين آمنوا بالله ورسله، فلا يدخلها أحد إلا بفضل الله تعالى لا بعمله؛ كما جاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : " ما من أحدٍ يدخله عمله الجنة " فقيل : ولا أنت يا رسول الله؟ قال " ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني ربي برحمةٍ " (٣)

فمن فضل الله تعالى ما أعده لهم في الآخرة بسبب إيمانهم وهذا أعظم فضل وأعظم رجاء وأقوى أمل، فلم يذكر سبحانه مع الإيمان شيئاً آخر قال سبحانه:

﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢١ ﴾ [الحديد: ٢١]

قال ابن عباس (ت ٦٨ ه) رضي الله عنهما: " يريد حيث ألحق العجم وأبناءهم بقريش والعرب؛ يعني أنهم إذا آمنوا ألحقوا في درجة الفضل بمن شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاركوهم في ذلك الفضل " (٤) .

لقد رد الله تعالى على أهل الكتاب الذين حملهم البخل على حسد المسلمين، بسبب ما تفضل الله عليهم ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبر سبحانه أنهم لا يقدرون على

(١) التحرير والتنوير (٣٢٠/٢٥) .
(٢) التحرير والتنوير (٢٣٨/٢٦)
(٣) رواه مسلم (٢٨١٦) .
(٤) التفسير البسيط، للواحدي (٤٨٨/٢١) ؛ ومفاتيح الغيب، للرازي (٥/٣٠) .

ردِّ ما يعطي من الفضل ، ولا إعطاء ما يمنعه جل جلاله، فالفضل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، ولا رادّ لفضله قال تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحديد: ٢٩]

فأهل الكتاب لا يقدرون على شيء من فضله سبحانه، فضلاً أن يتصرفوا فيه، فالفضل في ملكه وتصرفه جل جلاله، يؤتيه من يشاء، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر (ت ٧٣ه) رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: " مثلُكُم ومثلُ أهل الكتابينِ كمثل رجلٍ استأجر أُجراء، فقال: مَن يعمل لي من غدوةٍ إلى نصف النهار على قيراطٍ ؟ فعملت اليهود. ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ؟ فعملت النصارى. ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمسُ على قيراطين ؟ فأنتم هم. فغضبت اليهودُ والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملًا وأقلّ أجرًا؟! قال: هل نقصتكم من حقِّكم شيئًا ؟ قالوا: لا. قال: ذلك فضلي أُوتيه مَن أشاء."(١).

قال السعدي (ت ١٣٦٧ه): " قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ فلا يستكثر هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عم فضله أهل السماوات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك" . (٢)

المبحث الثالث: فضل الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام .

لقد كان فضل الله تعالى على الرسل عليهم الصلاة والسلام عظيم حين علمهم، وأنعم عليهم من النعم الجليلة، والخصائص العظيمة والفضائل الكريمة، وفي مقدمتهم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث جاء الخطاب في القرآن الكريم موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبين فضل الله تعالى عليه، وعنايته به، وعصمته له، وأنه لا يُقرُّ على خطأ، لأنه محفوظ بحفظ الله سبحانه، ومعصوم بعصمته جل جلاله فقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء: ١١٣]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٦٩)؛ والترمذي في سننه (٢٨٧١)؛ وأحمد في مسنده (٤٥٠٨) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٤٣) .

فليس فضل أعظم من النبوة ونــزول الــوحي علــى نبينــا محمــد صــلى الله عليــه وسلم.(١)

ومن فضل الله تعالى على أنبيائه ورسله ما منَّ الله سبحانه على نبيه سليمان عليه السلام حين علمه منطق الطير، فكان عليه السلام يحاور الطيور وتحاوره، ويكلمهــا وتكلمــه، فعلمه الله هذه اللغة، وأظهرها سليمان عليه السلام للناس متحدثاً بنعمة الله سبحانه عليــه، وإظهاراً للمعجزة التي خصَّه الله تعالى بها فقدم هذه النعمة بالذكر، ثم ذكر ما أعطــاه الله تعالى من كل شيء؛ كالنبوة والعلم والحكمة والمال وتسخير الجن والطير والــريح قــال ســبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ ﴾ [النمل: ١٥]

وهذه الآية تضمن تنويه الله سبحانه وتعالى بفضل العلم ، واعتباره مــن أفــضل الــنعم وأعظمها، وأن من فضله الله تعالى بالعلم يجب أن يقابل هذه النعمة بــشكر الله تعــالى عليه بما فضل على غيره من الناس .

قال السبكي (ت ٧٥٦ه) : " فإن الله تعالى آتى داود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر ولم يذكر من ذلك في صدر هذه الآية إلا العلم ليبين أنه الأصــل فــي الــنعم كلها، فلقد كان داود من أعبد البشر كما صح في صحيح مسلم وذلك مــن آثــار علمــه وجمع الله له ولابنه سليمان ما لم يجمعه لأحد، وجعل العــــــلم أصــلاً لــذلك كلــه، وأشارا هما أيضا إلى هذا المعنى بقولهـــما : ﴿ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ عقيب قوله: ﴿ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗا ﴾ . " (٢)

ثم ختم عليه السلام كلامه بما يدل على تواضعه لربه سبحانه وبيان فضله عليه وأن هذا التمكينُ من الله تعالى لعباده المؤمنين في الأرض، بالقوة الاقتــصادية والعــسكرية، هــو فضل من الله تعالى وحدَه لا شريك له، وأنه أُوتي مُلكا لم يؤتَه أحد من العالمين؛ فقــال تعــالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦ ﴾ [النمل: ١٦]

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني (٧٧٥/١)؛ واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٣/٧) .
(٢) فتاوى السبكي (٧٣/١) .

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا.(١) فعلم أن هذا الفضل لن يدوم، ولن يستمر، ولن يزيد إلا بشكر الله تعالى.

لقد عرض القرآن الكريم نماذج من قصص الأنبياء التي ظهر من خلالها المواقف العظيمة التي ينبغي أن يتصف بها الناس، حين يتفضل عليهم المولى جل جلاله بنعمه وفضائل إحسانه وجوده، فأعطى داود عليه السلام بسبب حسن إنابته إلى ربه نعمة منه وإحساناً زيادة على ما أعطي غيره من الأنبياء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠]

قال ابن عباس (ت ٦٨ه) رضي الله عنهما: " يريد تفضلت عليه وأعطيته ما لم أعط أحدًا قبله ولا بعده " (٢)

لقد أمتن الله تعالى على هذه الأمة بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يعلمهم أحكام القرآن الكريم وشريعته، وأحكام السنة المبينة لكتاب الله سبحانه، فيقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من آيات القرآن، ويطهرهم من دنس الشرك، والرذائل التي كانت في الجاهلية، وهذا فضل من الله تعالى عظيم؛ لأنهم كانوا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام في ضلال ظاهر، لقد كانوا في أمس الحاجة إلى رسالته وتعليمه مع أنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً، والأميه من صفات كماله، لأنها دلت على صدقه، فقد نقلهم من دركات الجهل إلى درجات العلم، وهذا مما لا شك فيه دلالة على معجزاته، الدالة على صدق رسالته، وصحة نبوته قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٢ – ٤]

قال مقاتل (ت ١٥٠ه) : " يعني النبوة فضل الله يؤتيه من يشاء. فاختص بها محمدًا صلى الله عليه وسلم " . (٣)

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (٣٧٢/٣)؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (١٤٩/٦)؛ وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١٨/٥)؛ ولباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٣٤٠/٣)؛ و اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٢٥/١٥)؛ وفتح الرحمن في تفسير القرآن، للعليمي (١١٩/٥)؛ وروح البيان في تفسير القرآن، للخلوتي (٣٣١/٦) .

(٢) التفسير البسيط، للواحدي (٣٢١/١٨) . وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٦/ ٤٣٦) نحوه، ولم ينسبه لابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) التفسير البسيط، للواحدي (٤٤٧/٢١)؛ ومفاتيح الغيب، للرازي (٥٣٩/٣٠).

المبحث الرابع: فضل الله تعالى على عموم الناس والمؤمنين .

إن فضل الله تعالى على عموم الناس عظيم حيث أنعم عليهم بالعقل ليميزوا بين الحق والباطل، وتفضل عليهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل، ليبينوا لهم شرائع الدين التي ترشد بها عقولهم.

إن الله جل جلاله عظيم الفضل والعطاء، واسع الكرم والسخاء، يشمل بفضله الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ويعم بجوده العالمين، قال سبحانه: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبشر المؤمنين بفضله، قال سبحانه:﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٧] فيحمدونه تعالى على نعمائه، ويشكرونه على عطائه، ويتبعون ما أمرهم سبحانه به؛ تقرباً إليه، وابتغاء مرضاته، قال عز وجل: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤ ﴾ [آل عمران: ١٧٤] فأغدق عليهم نعمه، وأسعدهم بكرمه، ففرحوا بفضل الله ورحمته، عملاً بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ [يونس: ٥٨].

إن الله تعالى أخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن قوم من البشر تفضل عليهم بعد الموت بالحياة، خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم؛ ليعلموا أن الموت بيد الله سبحانه، وأن فضل الله تعالى على عباده عظيم قال سبحانه: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]

ومن فضل الله تعالى على المؤمنين أن استجاب الله دعاءهم حين كانت المواجهة بين الفئة المؤمنة القليلة بقيادة طالوت، والفئة الكافرة الكثيرة بقيادة جالوت، فتوجه المؤمنون إلى الله سبحانه يستغيثون ويطلبون النصر منه تعالى، وكان داود مع الفئة المؤمنة بقيادة طالوت، فأكرمه الله تعالى بعد ذلك بفضل الملك والنبوة ، فأعز الله بني إسرائيل في عهده وعهد ولده سليمان من بعده، وعلمه من العلوم النافعة التي ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠ ﴾ [الأنبياء: ٨٠]

فالله سبحانه يدفع الكافرين بالمؤمنين فيكون لهم النصر والقوة، ويؤيدهم بالنصر والغلبة على الأعداء وهذا الانتصار يؤدي إلى انتشار الإسلام، وتطبيق شرع الله تعالى في

الأرض، فتنزل الرحمات وتكثر الخيرات وكل ذلك من فضله جل جلاله على العالمين قال تعالى:﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥١]

قال القرطبي (ت ٦٧١ه) في قوله سبحانه:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ " بين سبحانه أن دفعه بالمؤمنين شر الكافرين فضل منه ونعمة "(١).

والله سبحانه يَعِد عباده المؤمنين وعد صدق بالفضل والرزق، ويعد المحسنين منهم بمضاعفة الرزق في الدنيا والحسنة في الآخرة، فالقرآن بين ما يترتب على الإنفاق في وجه الخير من الفوائد؛ حيث إن الإنسان يتغلب على شحّ نفسه والشيطان، فهو مفطور على حب المال والشح به، فالشيطان يخوف الإنسان بالفقر، ويجعله يبخل بماله فيمتنع عن إخراج زكاته عن المستحقين، ليصده عن طاعة الله جل جلاله، وهذا ما حذّرنا الله تعالى منه بقوله:﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

وهذا هو هدي القرآن في تحذيره من وعد الشيطان وترغيبه في وعد الرحمن، بأن الإنفاق في وجوه البر تزيد المال بركة فيصير القليل منه كثيراً بتوفيق الله وتأييده .

ووعد الرحمن جل جلاله الذي وعد به المنفقين وعد حق لا يمكن أن يخالطه شك أو ريب ، لأنه وعد من الله الذي لا يخلف وعده.

والفضل: أن يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا، فيوسع لهم في أرزاقهم، وينعم عليهم في الآخرة بما هو أفضل وأكثر وأجل وأجمل .(٢)

قال الرازي (ت ٦٠٦ه) : " أن بتقدير حصول الانتفاع بالمال المبخول به غد الدنيا لا شك أن ذلك الانتفاع ينقطع ولا يبقى ، وأما الانتفاع بمغفرة الله وفضله وإحسانه فهو الباقي الذي لا ينقطع ولا يزول " . (٣)

لنتأمل الآيات القرآنية الكريمة كيف واجهت الصحابة ، وحملتهم المسؤولية عما حدث لهم في معركة أُحد مع ما لهم من الرفعة والمنزلة العالية والسبق إلى الجهاد في سبيله، بدأت تذكرهم بفضل الله تعالى عليهم حين نصرهم على أعدائهم في أول المعركة، قبل أن يخالف الرماة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ

(١) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢٦١/٣)
(٢) فتح القدير للشوكاني (٣٣٢/١) .
(٣) مفاتيح الغيب من القرآن الكريم (١٠٢٣/١) .

ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

بعد أن بينت الآية سبب تحول معركة أحد لصالح المشركين، وحملتهم مسؤولية ما حدث، أخبرتهم بعفوه جل جلاله عنهم تكريماً لهم رضي الله عنهم وإظهاراً لفضله تعالى عليهم فعفى عما صنعوا من المخالفة وترك القتال والفرار من العدو .

قال السعدي (ت ١٣٦٧ه) : "ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدّر عليهم خيرا ولا مصيبة، إلا كان خيرا لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين" (١)

والله جل جلاله بيّن في كتابه بأن عيسى عليه السلام يعتز بعبوديته لله تعالى، ويتمسّك بها، ولن يتركها ويتخلى عنها، وكذلك الملائكة المقربون مع علو منزلتهم وكرامتهم لن يستنكفوا عن عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم له سبحانه، قال تعالى:﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء: ١٧٢]

ثم جاءت الآية التي بعدها تبين فضل الله تعالى على المؤمنين المطيعين الذين عبدوه سبحانه وحده وأذعنوا لأمره، وتمسكوا بشرعه واتبعوا رسله، فقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء: ١٧٣]

قال ابن جرير (ت ٣١٠ه) : "﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ ﴾ يعني جل ثناؤه: ويزيدهم على ما وعدهم من الجزاء على أعمالهم الصالحة والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يعرفهم مبلغه ولم يحد لهم منتهاه" .(٢)

لقد أخبر الله تعالى في كتابه عن حال الذين لم تشغلهم الأمور الدنيوية والمادية عن طاعة ربهم، لأن قلوبهم استنارت بنور الهداية، فتطلعت إلى رضوان الله، فهم يقدمون طاعته سبحانه ومحبته على مرادهم ومحبتهم؛ فهؤلاء الذين استنارت قلوبهم بالإيمان، هم الذين

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١٥٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٧٠٩/٧) .

يتقبل الله في الآخرة أعمالهم، فيثيبهم عليها أحسن ما عملوا، ويضاعفها لهم بفضله وكرمه، قال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٧ – ٣٨]

لقد دلت الآيتان على أن الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من الامتحان ، له أثر عظيم في تربية العبد وتهذيبه، وجعله يضبط أفعاله وسلوكه بميزان الأحكام الشرعية، فهي النور الذي يضيء له الطريق المستقيم، الذي يوصله إلى فضل الله سبحانه، والفوز برضوانه، ويتحقق للمؤمن مطالبه الدنيوية التي شرعها الله له، فيتقبل الله عمله في الآخرة، ويثيبه عليها أحسن الثواب، ويضاعفه له بفضله وإحسانه؛ كما قال ابن كثير (ت ٧٧٤ه): في قوله تعالى : "﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ ﴾ أي يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم"(١)، والمعنى الذي ذكره المفسرون في قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ ﴾ : أي ليجزيهم ثوابهم مضاعفاً ويزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضلاً " . (٢)

لقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جهادا شديدا في تقرير قضية البعث بعد الموت في قلوب الناس ليصدقوا بها، ويؤمنوا بحدوثها ووقوعها، فكان يحدث المشركين عن يوم القيامة وما سيكون فيه، ويدعوهم إلى الإيمان به، فما يزيديهم ذلك إلا غلظة واستكباراً وعناداً ، فيغلظون للرسول صلى الله عليه وسلم القول، فالله جل جلاله أخبر عن حالهم بمكابرتهم وجفائهم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [النمل: ٦٧ – ٦٨]

ثم جاءت بعدها هذه الآية تبين حقيقة غفلتهم عن فضل الله عليهم بأن أخر الله تعالى العقاب عنهم لعل رحمة الله تدركهم فتلين قلوبهم وتنقاد لله رب العالمين .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [النمل: ٧٣]

فالله جل جلاله ذكر فضله في تأخير العذاب عنهم؛ لكن الآية تحمل على العموم وتأخير العذاب من جملة ما يتفضل وينعم على عموم الناس . (٣)

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦٩/٦) .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٢٤٣/٣)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (٥٠٩/٢).

(٣) فتح القدير، للشوكاني (١٧٣/٤)؛ وفتحُ البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي (٦٧/١٠) .

لقد خص الله تعالى المؤمنين بالفضل دون غيرهم فهو سبحانه يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات على ما قدموا مجازاة الفضل؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، لأنهم يمهدون لأنفسهم منزلًا في الجنة بالمسارعة إلى الخيرات في هذه الحياة الفانية وتفضل بحسن الجزاء على المؤمنين الصالحين، بخلاف حال الكافرين الذين أبعدهم عن رحمته وفضله قال سبحانه: ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ٤٤ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٥ ﴾ [الروم: ٤٤ – ٤٥]

لقد أثنى الله تعالى على عموم الناس، وعلى المؤمنين الذين يداومون على قراءة القرآن الكريم، ويهتدون بآياته علماً وعملاً، ويتزودن بالتقرب إلى الله تعالى بالعبادات البدنية كإقامة الصلاة، والعبادات المالية بإنفاقهم المال سراً وعلانية، فأخبر الله سبحانه عن حالهم في تقربهم إليه تعالى بأنواع الطاعات وهذه الأعمال العظيمة، وهم خائفون ألا تقبل منهم؛ فبين جل جلاله ربح تجارتهم بما يتفضل عليهم من الأجور والفضل العظيم ليعطيهم أجورهم كاملة، ويزيدهم من فضله، فيغفر تقصيرهم، ويتقبل منهم ويجازيهم على هذه الأعمال بفضله سبحانه .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠ ﴾ [فاطر: ٢٩ – ٣٠]

فذكر بعض أهل التفسير المقصود بقوله سبحانه: ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ هو تضعيف الحسنات .(١)

ثم جاءت الآيات بعدها تبين بأن الذين يتلونه من القرآن هو الحق مصدقاً لما تقدمه من الكتب السابقة وهو ميراث لهذه الأمة التي اختارها الله تعالى وفضلها على سائر الأمم.

فهذا التوريث لهذا الكتاب، والاصطفاء من الله لعباده، هو الفضل الذي لا يعادله فضل في علوه ، ورفعة منزلته عند الله تعالى فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ [فاطر: ٣١ – ٣٢]

(١) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٣٥٧/٤)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٤٣٨/٤)؛ و الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (٣٨٩/٤) .

فهذا الاصطفاء لتوريثهم القرآن الكريم، وحمل رسالة الإسلام فضل كبير من الله سبحانه عليهم وهو المعنى في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ يعني: إيراثهُمُ الكتاب .(١)

لقد جاء في القرآن الكريم آيات تحثنا على توحيد الله تعالى، وإخلاص الدعاء له وحده دون سواه، وتدل على أن الله سبحانه ذو فضل عظيم على الناس، ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله عليهم، ويستكبرون عن عبادته وشكره قال سبحانه:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [غافر: ٦٠ – ٦١]

فهذه الآيات ذكرت حال المستكبرين عن عبادة الله تعالى ودعائه مع ما هم فيه من النعم الكثيرة التي تفضل بها عليهم، وهذا دليل على شدة حاجتهم إليه جل وعلا فبيّن فضله عليهم بتنظيم الزمان وتقلب الليل والنهار، فالإنسان يحتاج إلى ظلمة الليل وسكونه، ويحتاج إلى ضوء النهار، ومع ذلك الفضل العظيم؛ فإن أكثر الناس لا يشكرون الله تعالى على فضله .

المبحث الخامس: بشارة المؤمنين بفضل رب العالمين .

إن بشارة القرآن الكريم مستمرة للمؤمنين بفضل رب العالمين، ومنها ما يكون للشهداء الذين يفرحون ويستبشرون بإخوانهم الذين تركوهم في الحياة الدنيا وهم يجاهدون؛ لأنهم إذا استشهدوا لحقوا بهم، ونالوا من الفضل والنعيم من ما نالوا، فهم بذلك يستبشرون؛ فاستبشارهم إنما هو باستمرار المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله تعالى، واللحاق بهم في الدرجات العالية في الأخرة.

وكما يستبشر الشهداء بإخوانهم المجاهدين في سبيل الله، يستبشرون كذلك بما أنعم الله عليهم في الآخرة فيتجدد استبشارهم وسرورهم بنعمة من الله وفضله عليهم قال تعالى: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧١] والنعمة هي ما يعطى المؤمن من الثواب جزاء عمله، والفضل من

(١) التفسير البسيط ، للواحدي (٤٢٨/١٨)؛ ومعالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٤٢٣/٦)؛ وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي(١٨١/٥)؛ ولباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (٤٥٧/٣)؛ وتفسير اللباب، لابن عادل (٤٢٠٧/١)؛ وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للهرري (٤٣٤/٢٣) .

الله تعالى الذي يمن على عباده المطيعين المستجبين لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم. (١)

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت ١٨٢ه): " هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم، سواء الشهداء وغيرهم، وقلما ذكر الله فضلاً ذكر به الأنبياء وثواباً أعطاهم إلا ذكر ما أعطى الله المؤمنين من بعدهم " (٢)

لقد أكرم الله تعالى نبيه بمقام الشهادة على أمته يوم القيامة، وأرسله مبشراً للمؤمنين بفضل الله تعالى عليهم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يتفضل عليهم بالنصر والتمكين، إذا تمسكوا بدينهم، وفي الآخرة يتفضل عليهم بالمغفرة والنعيم المقيم فقال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٧]

قال ابن عطية (ت ٤٨١ه): " قال لنا أبي – رضي الله عنه –: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى، لأن الله عز وجل قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلاً كبيراً، وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ فالآية التي في هذه السورة خبر، والتي في (حم. عسق) تفسير لها " .(٣)

لقد بشر الله جل جلاله عباده المؤمنين بالفضل الكبير في الآخرة حين ذكر حال الظالمين وهم خائفون من شركهم وظلالهم في الدنيا؛ ثم ذكر بعدها حال المؤمنين العاملين بأحكام دينه وشريعته، بأنهم يتنعمون في روضات الجنات، لهم ما يشاؤون عند ربهم من أنواع النعيم، وهي بشارة تحملها الآيات إليهم تثبيتاً لهم على دينه وشريعته، وأن هذا هو الفضل الكبير الذي يتفضل الله سبحانه على عبادة في الآخرة، نسأل الله الكريم من فضله؛ فقال تعالى: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٢٢ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣ ﴾ [الشورى: ٢٢ – ٢٣]

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٤٨/٢) ؛ وتفسير المراغي (١٣٣/٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٦٥/٢)؛ والدر المنثور في التفسير بالمأثورة، للسيوطي (١٢١/٤)؛ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (١٢٤/٤).

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/ ٣٨٩).

ثم جاءت في هذه السورة استجابة المؤمنين لدعوة ربهم، وثباتهم على الدين بأنه سبحانه يزيدهم من فضله الواسع بخلاف حال الكفار في عنادهم واعراضهم عن دعوة ربهم سبحانه قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الشورى: ٢٦] فالآية أخبرت عن استجابة المؤمنين لدعوة ربهم جل جلاله، وثباتهم على الدين فيزيدهم على ما سألوا من فضله الواسع؛ فيستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك .(١) وقال ابن عباس (ت ٦٨ه) رضي الله عنهما في الآية: " ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يشفعهم في إخوانهم. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ ﴾ قال: يشفعهم في إخوان إخوانهم " .(٢)

المبحث السادس: تقصير العباد بشكرهم فضل ربهم .

إن من أسباب دوام الفضل والنّعم على العبد شكر الله تعالى عليها، فالنّعم إذا شُكِرت قرّت، وإذا كُفِرت فرّت، فالشكر قرين العبادة؛ ودليل على صدقها، فالله سبحانه وتعالى بين أن الذي يشكره هو الذي يعبده بصدق، والذي لا يشكره فهو مقصر في عبادته، قال تعالى: ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢]

والشكر صفة الأنبياء عليهم السلام؛ لأن شكر الله سبحانه من أعظم العبادات، والتي اتصف بها نبي الله إبراهيم عليه السلام فأثنى الله عليه بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠ – ١٢١] وقد مر معنا في المبحث الثالث فضل الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام بإقرارهم بفضل الله عليهم، فالله عز وجل ذكر على لسان سليمان عليه السلام أنه قال: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠] وهذا دليل على اعتراف نبي الله سليمان عليه السلام بعطاء الله تعالى له هذه المعجزات والنعم العظيمة، فاستشعر أن هذه النعمة ابتلاء كبير، يحتاج إلى الإقرار بفضل المنعم وشكره على ما أنعم، فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه؛ كحال كثير من الناس حين يعطيهم الله من الأرزاق والنعم فيجحدونها منكرين فضل الله عليهم، فقد حرّم أهل الجاهلية على أنفسهم كثيراً من الرزق الطيب الذي تفضل الله به عليهم كما قال سبحانه:

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير (٢١/ ٥٣٤)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٠٦/٧)

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير (٢١/ ٥٣٤)؛ و الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٦/١٦)؛ وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (٦١/٢٥) .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٥٩ – ٦٠]

والله جل جلاله ذكر في قصة يوسف عليه السلام في إتباعه لملة آبائه ملة التوحيد القائمة على تنزيه الله وتعظيمه، وبين عليه السلام أن هذا الإتباع فضل من الله تعالى بإرسال الرسل وإنزال الوحي، ولولا الرسالة لم تهتدِ العقول إلى ما ينفعها ويضرها في معاشها، فمن أعظم نعم الله على عباده ، وفضله عليهم، أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم صراطه المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام أو أضل، ولا بقاء لأهل الأرض إلا بالاستجابة لدعوة المرسلين، والرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في أمره ونهيه ،فأوجب الله تعالى على العباد طاعتهم وتوقيرهم؛ لكن أكثر الناس يقصر بشكر الله على هذا الفضل وهذه النعمة قال تعالى :

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يوسف: ٣٨]

ويوسف عليه السلام ترك ملة الوثنيين من قومه، حيث كان متبعاً لملة آبائه إبراهيم ومن بعده ولده إسحق عليهم السلام، الذين أرسلهم الله لهداية الخلق إلى توحيد الله تعالى، فهذا الطريق الذي سلكوه من فضل الله عليهم، فأيد الأنبياء بالوحي والمعجزات وجعلهم يبلغون رسالات ربهم جل جلاله، ومن فضله على الناس، حيث وفقهم لدعوتهم إلى توحيده سبحانه .

روي عن ابن عباس (ت ٦٨ه) رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا﴾: " معناه ذلك من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء، وعلى الناس أن جعلنا إليهم رسلاً " .(١) وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾: " يعني وعلى المؤمنين، يريد أن من عصمه الله من الشرك، وتفضل عليه بالإيمان فهو مِمَّنْ لله عليه الفضل " . (٢)

المبحث السابع: الفرح بفضل الله تعالى .

إن الفرح بالله تعالى وبطاعته مقام عظيم لا يوفق له الا عباده المؤمنون المخلصون، فينبغي لكل موفق لطاعة الله سبحانه أن يفرح بذلك، بل يجب عليه أن يفرح بذلك ويغتبط

(١) ذكره ابن جرير (١٠٣/١٦)؛ وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٢١٤٥/٧)؛ والماوردي في النكت والعيون (٣٨/٣)؛ والواحدي في التفسير البسيط (١١٨/١٢)؛ وابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (٤٢٨/٣)؛ وأبو الشيخ كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٥٣٨/٤).

(٢) تنوير المقباس في تفسير ابن عباس (١٤٩)؛ ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٣/ ١١٠)؛ وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤٢٨/٣) .

به كحال الشهداء الذين يفرحون ويسرون بإخوانهم الذين تركوهم في الدنيا وهم يجاهدون في سبيل الله، لأنهم إذا استشهدوا لحقوا بهم، ونالوا من الفضل والكرامة مثل ما نالوا، فهم بذلك في غاية الفرح بالفضل الذي حصل لهم في الآخرة نسأل الله الكريم من فضله.

فهم في الآخرة أحياء عند ربهم يرزقون، فيفرحون بهذا الفضل، وبما أعطاهم الله من ثوابه وكرامته، وفضله الدائم الذي لا ينقطع عنهم، ويُسرُّون بإخوانهم الذين يقاتلون من بعدهم في سبيل الله، ولم يظفروا بالشهادة، بأن لهم إحدى الحسنيين: النصر، أو الشهادة قال سبحانه:﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ﴾ [آل عمران: ١٧٠]

قال مقاتل في قوله سبحانه: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾أي : بما هم فيه من الخير والكرامة والرزق " (١)

ومن الفرح بفضل الله تعالى ما تكون به حال المؤمنين حين يغتنموا ما في القرآن الكريم من الفضل والرحمة، فيقبلوا عليه فرحين به، مسترشدين بهديه، متمسكين بشرعه، متعلقة قلوبهم بالله تعالى وحده، وهذا هو الفضل والخير لهم من التعلق بحطام الدنيا الزائل، فلا شيء أحق بالفرح بفضل الله تعالى ورحمته التي تتضمن التسليم لأوامر القرآن ونواهيه، فالقرآن فضل من الله تعالى على عباده في العاجل والآجل (٢)، فهو شفاء للأمراض الحسية بالرقية، والمعنوية كأمراض الشهوات والشبهات قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ [يونس: ٥٧ – ٥٨]

وهذا الفضل الذي أعطاه الله تعالى عباده، وهذه الرحمة التي أفاضها عليهم بما عندهم من الإيمان والتصديق بكلامه جل جلاله؛ فبذلك وحده فليفرحوا، فهذا هو الذي يستحق الفرح، لا المال و لا أعراض هذه الحياة الفانية.

قال أبو سعيد الخدري (ت ٧٤ه) رضي الله عنه : فضل الله : القرآن، ورحمته أن جعلنا من أهله " (٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (٨١٣/٣)؛ والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (١٢٠/٤) .

(٢) فسر ابن عباس رضي الله عنهما الفضل بالقرآن والرحمة بالإسلام، وروي عن مجاهد والحسن بأن الفضل الإيمان والرحمة القرآن، ينظر: جامع البيان، للطبري (١٠٦/١٥)، وقال ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية (٣٨/٢): " دارت أقوال السلف في الفضل والرحمة على الإسلام والسنة " .

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩٤/١٢)؛ وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (١٩٥٨/٦)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (١٠٢/٢)؛ والثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٢٤/١٤)؛ والسمعاني في تفسير القرآن (٣٩٠/٢)؛ والبغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤٢٣/٢)؛ وابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (٣٣٥/٢)؛ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٥٣/٨)؛ وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب (٣٥٩/١٠)، والألوسي في روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (١٤١/١١)؛ وابن عاشور في التحرير والتنوير (١١٣/١١) .

وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ه): " وهو الذي يقتضيه اللفظ فإن الفضل هو هداية الله التي في القرآن، والرحمة هي التوفيق إلى اتباع الشريعة التي هي الرحمة في الدنيا والآخرة " . (١)

قال ابن تيمية (ت ٧٢٨ه) : " ففضل الله ورحمته : القرآن والإيمان، من فرح به فقد فرح بأعظم مَفرُوح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ووضع الفرح في غير موضعه".(٢)

وفي معنى الفضل في الآية قال ابن القيم (ت ٧٥٢ه): " ففضله: الإسلام والإيمان، ورحمته: العلم والقرآن. وهو يحب من عبده أن يفرح بذلك ويسرّ به، بل يحب من عبده أن يفرح بالحسنة إذا عملها وأن يسرّ بها. وهو في الحقيقة فرحٌ بفضل الله، حيث وفقه الله لها وأعانه عليها ويسرها له. ففي الحقيقة إنما يفرح العبد بفضل الله ورحمته. " (٣)

المبحث الثامن: سؤال المؤمنين فضل الله تعالى .

لقد بيّن الله تعالى في كتابه التفاوت الذي قدره بين الناس في المواهب والأرزاق فعلى الرجال والنساء أن يرضوا بما قسم الله تعالى لهم ، ولا يحسد كل من الرجال والنساء على ما أعطاهم الله تعالى من القسمة، ولا يتمنى نصيب غيره، وعليهم أن يتوجهوا إلى الله تعالى يسألونه المزيد من فضله، فإن خزائنه سبحانه لا تنقص ولا تنفد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء: ٣٢]

قال سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ه) : " لم يأمر بالمسألة إلا ليعطي " (٤) .

ومن عظيم فضل الله تعالى على العبد ما يكون من تعاقب الليل والنهار واختلافهما طولاً وقصراً، حيث إن حركة الزمن تسير بمقتضى حكمته ومشيئته وقدرته سبحانه، فهي سنن ثابته قدرها الحكيم الخبير، الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى، فحياة العبد وما له في هذا التنظيم المحكم لحركة الزمن من مصالح عظيمة في دينه ودنياه، وحتى ندرك مدى فضل الله سبحانه على العبد في تنظيم وضبط حركة الزمن حين يستعجل الإنسان في تحصيل ما يشتهي ولن يأتيه إلا ما قدر الله تعالى له، أو يستبطأ حركة الزمن وهو لن

(١) التحرير والتنوير (١١٣/١١) .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٤٣/٣) .

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيم (١٠٦/٣).

(٤) قول سفيان ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٢٨٢/١٠)؛ والبغوي في معالم التنزيل (٢٠٥/٢)؛ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥)؛ وهو قول مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

يتمكن من تغييره قال تعالى: ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء: ١١ – ١٢]

فالحمد لله الذي نظم الكون زماناً ومكاناً، وقدره فأحسن تقديره، وجعل ذلك تحت مشيئته وحكمته ورحمته، ولم يكن بمشيئة الإنسان وجهله وعجلته، لأن في تقلب الليل والنهار بهذا التنظيم المحكم من مصالح للإنسان، ففي الليل يسكن الناس ويرتاحون، وفي النهار ينتشرون لمعاشهم وينتفعون، فله جل جلاله الفضل الكبير على العبد في ضبط وتنظيم تقلب الليل والنهار، فيسأل المؤمن رزقه من ربه الذي يتفضل عليه فيعطيه سؤله .

قال المراغي (ت ١٣٧١ه) : في قوله تعالى: ﴿ لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: فعلنا ذلك، لتطلبوا لأنفسكم فيه رزقاً من ربكم، إذ لا يتسنى ذلك في الليل، وفي التعبير عن الرزق بالفضل، وعن الكسب بالابتغاء، مع ذكر صفة الربوبية الدالة على الوصول إلى ذلك شيئاً فشيئاً، دلالة على أنه ليس للمرء في تحصيل الرزق سوى الطلب بالأسباب العادية " (١).

وقد يستعجل العبد في سؤاله وطلبه من فضل ربه جل جلاله كما في الآيات السابقة فيكون في تأخيره خيراً له، ومهما استعجل الإنسان في تحصيل ما يتمنى فلن يأتيه إلا ما قدَّر الله تعالى له، فقد تأخر الإجابة لحكمة بالغة، وقد يعطي المؤمن أفضل مما سأل، قال ابن القيم: "فهكذا الرب سبحانه لا يمنع عبده المؤمن شيئاً من الدنيا الا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له. وليس ذلك لغير المؤمن. فانه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس، ولا يرضى له به ليعطيه الحظ الأعلى النفيس.

والعبدُ لجهلهِ بمصالح نفسه، وجهلهِ بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما منع منه وبين ما ادخر له، بل هو مولعٌ بحب العاجل وان كان دنيئاً، وبقلة الرغبة في الآجل وان كان علياً. ولو أنصف العبد ربه، وأنى له بذلك، لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها وأعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه الا ليعطيه، ولا ابتلاه الا ليعافيه، ولا امتحنه الا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار الا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة اليه " (٢)

(١) تفسير المراغي، لأحمد المراغي (١٩/١٥)
(٢) الفوائد، لابن القيم (٥٦) .

وقد تكرر مخاطبة المشركين والكفار في آيات متعددة من كتاب الله جل جلاله، وتذكرهم بفضل الله تعالى عليهم ورحمته بهم، وتبيّن كيف يقابلون فضله سبحانه عليهم ورحمته لهم بالجحود والكفران، حيث هيأ لهم كل ما يحتاجون، وسهل عليهم ما كان عسيراً، ودبر أمورهم بأن يجري لهم الفلك في البحر، يسألوا ويطلبوا من رزقه، وهو فضلٌ منه سبحانه قال تعالى:﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٦]

والبدء بكلمة ﴿ رَّبُّكُمُ﴾ فيه تذكير العباد بشدة حاجتهم إلى الله تعالى، فهو المالك الخالق المدبر لجميع أحوالهم ولا يمكن الاستغناء عن فضله جل جلاله، فهو المعبود بحق دون سواه، سواء أقروا أم جحدوا وكفروا بفضله جل وعلا .

قال الشوكاني (ت ١٢٥٠ه): في قوله تعالى: " ﴿ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ أي من رزقه الذي تفضل به على عباده أو من الربح بالتجارة ..... وفي هذه الآية تذكير لهم بنعم الله سبحانه عليهم حتى لا يعبدوا غيره ولا يشركوا به أحدا وجملة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ تعليل لما تقدم : أي كان بكم رحيما فهداكم إلى مصالح دنياكم " . (١)

والله جل جلاله دعانا إلى الانتشار في الأرض، وابتغاء فضله عند الانتهاء من صلاة الجمعة، وبذلك يجمع المؤمن بين المصلحة الدينية والدنيوية فأمرنا أن ننتشر في الأرض ابتغاء لفضل الله بعد انقضاء الصلاة قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[الجمعة:١٠]

قال ابن جرير (ت ٣١٠ه) : " والتمسوا من فضل الله الذي بيده مفاتيح خزائنه لدنياكم وآخرتكم" .(٢) وكان عراك بن مالك (ت ١٠١ه) إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: "اللهم إني قد أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين". (٣)

قال الطيبي (ت ٧٤٣ه): لعل السر في تخصيص الرحمة بالدخول والفضل بالخروج أن من دخل اشتغل بما يزلفه إلى ثوابه وجنته فيناسب ذكر الرحمة وإذا خرج اشتغل بابتغاء الرزق الحلال فناسب ذكر الفضل كما قال تعالى: ﴿ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) فتح القدير (٣٤٨/٣) وبنحوه قال البغوي في معالم التنزيل (١٠٧/٥)؛ والرازي في مفاتيح الغيب (٣٧١/٢١)؛ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٩١/١٠)؛ وأبي السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٨٤/٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٤٤/٢٢) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٣٣٥٦/١٠)؛ والنكت والعيون للماوردي (١٠/٦)؛ والتفسير الوسيط، للواحدي (٣٠٠/٤) ومفاتيح الغيب، للرازي (٥٤٣/٣٠)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٠٨/١٨)؛ والدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٣٣٣/٧)؛ وعراكُ بن مالك الغفاري، المدني، من خيار التابعين، ثقة فاضل، مات في خلافة يزيد بن عبد الملك بعد المائة. انظر: العبَر في خبر مَن غبر، للذهبي (٩٢/١)؛ وتحرير تقريب التهذيب، لابن حجر (٣/ ٧).

وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ . (١) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم قال: رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك" . (٢) فالكسب الذي يبتغي به العبد من فضل الله تعالى والاستغناء عن سؤال الناس هو الذي أثنى الله تعالى عليه في كتابه، وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم :قال جل جلاله: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٠ ﴾[المزمل: ٢٠] والمقصود بقوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ " يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله " (٣).

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٩٣/٢) .

(٢) رواه الترمذي برقم (٣١٤)، باب ما جاء ما يقول عند دخول المسجد . وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥١٥) .

(٣) التفسير البسيط ، للواحدي (٣٨٧/٢٢)؛ ومعالم التنزيل، للبغوي (٢٥٨/٨) .

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث:

١- إن من يتتبع مفردة " فضل " في القرآن الكريم الخاصة بالعباد ، يجدها ذكرت في القرآن الكريم في ستٍ وتسعين آية على اختلاف ألفاظها: إفراداً ، وجمعاً .

٢- إن الفضل كله بيده سبحانه، وكل ما يصيب العبد من الخير والفضل فهو من جود وإحسان ورحمة الله تعالى على عبده الذي لا ينقطع.

٣- إن المراد بالفَضْل: الزيادة في الخير، وذلك ضربان: محمودٌ : كفضل العلم والحلم، ومذمومٌ : كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه. والفَضْلُ في المحمود أكثر استعمالاً.

٤- فضل الله تعالى على عباده المؤمنين، هو توفيقه وهدايته وتأييده لهم في الدنيا، وفي الآخرة بما يجازيهم على أعمالهم بالجنة التي عرضها السماوات والأرض.

٥- إن نصوص القرآن الكريم تدل أن أعظم فضل من الله سبحانه على عباده، هو تزكيتُهم وهدايتُهم في وقت الفتن من الضَّلال كما قال جل وعلا: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ٢١].

وأما أبرز التوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث فهي:

١- الدعوة إلى بذل مزيد من الجهد في التدبّر والتأمل والبحث في كتاب الله تعالى، والوقوف على معانيه، وأسراره، وعجائبه التي لا تنفد.

٢- دراسة موضوع الفضل من خلال سورة من السور القرآنية، وبيان علاقتها بمقاصد السورة.

٣- حث الباحثين إلى العناية بإعمال النظر في التفسير الموضوعي و التركيز على الموضوعات المناسبة .

والله تعالى خير مسؤول أن يزيدنا من فضله العظيم، وأن يوفقنا لتدبّر كتابه المبين، وصلى الله على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع:

١- اجتماع الجيوش الإسلامية ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله البيضاوي، المحقق: محمد المرعشلي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ ه

٤- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: على معوض ورفاقه، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م .

٥- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف الغرناطي، تحقيق: علي محمد معوض ورفاقه ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر: ١٤٢٢ه.

٦- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، المحقق: محمد النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث، القاهرة .

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية .

٨- تحرير تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تأليف: د.بشار عواد ، والشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .

٩- تحصيل نظائر القرآن، المؤلف: محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، تحقيق: حسنى نصر زيدان، الناشر: مطبعة السعادة، سنة النشر: ١٣٨٩ ه – ١٩٦٩ م .

١٠- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ،المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١١- تفسير الجلالين ، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلىّ، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: هشام برغش ، مدار الوطن ، الرياض، ١٤٣٦ه – ٢٠١٥م .

١٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ،المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
١٣- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: عبد الرحمن ابن أبي حاتم ،المحقق: أسعد محمد الطيب ،الناشر: مكتبة نزار مصطفى – المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
١٤- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
١٥- تفسير المراغي ،المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
١٦- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن المؤلف: محمد الأمين الهرري الشافعي، المحقق: هاشم محمد مهدي، الناشر: دار طوق النجاة سنة النشر: ١٤٢١ ه .
١٧- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الطبعة الثالثة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م .
١٨- تهذيب اللغة، المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: رياض زكي قاسم، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م .
١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م
٢٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، الناشر: دار هجر للطباعة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
٢١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
٢٢- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: عبدالرحمن بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: أبو محمد الغماري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٦ه .
٢٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،تحقيق : مركز هجر للبحوث ،الناشر : دار هجر – مصر ، سنة النشر : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م
٢٤- روح البيان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م .

٢٥-زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٢٦- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة ، سنة النشر: ١٢٨٥م
٢٧-سنن الترمذي ، المؤلف: محمد بن عيسى الترمذي، الناشر: دار السلام، الرياض، سنة النشر/١٤٢٠ه - ١٩٩٩م .
٢٨- الصحاح، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: . إميل بديع يعقوب ومحمد طريفي، الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر:١٤٢٠ هـ
٢٩- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ه.
٣٠-صحيح الجامع الصغير وزيادته المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، الناشر : المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة : الثالثة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م
٣١-صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج، الناشر: دار السلام، الرياض، سنة النشر:١٤٢٠ه
٣٢- العِبَر في خبر مَن غبر ، تأليف: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد السعيد زغلول ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
٣٣- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ،المحقق: د.محمد التونجي ،الناشر:عالم الكتب،بيروت،الطبعة: الأولى،١٤١٤ هـ
٣٤-عون المعبود شرح سنن أبي داود، المؤلف: شرف الحق العظيم آبادي أبو عبد الرحمن المحقق: أبو عبد الله النعماني الأثري، الناشر: دار ابن حزم، سنة النشر: ١٤٢٦ه - ٢٠٠٥م
٣٥-غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة النشر: ١٣٩٨ه - ١٩٧٨م .
٣٦-فتاوى السبكي، المؤلف: أبو الحسن تقي الدين السبكي، الناشر: دار المعارف.
٣٧-فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد القِنَّوجي ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله الأنصَاري ،الناشر: المَكتبة العصريَّة ، بَيروت ، عام النشر: ١٤١٢ هـ .

٣٨- فتح الرحمن في تفسير القرآن، محمد العليمي المقدسي الحنبلي ،اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر الطبعة الأولى:، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م
٣٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
٤٠- الفوائد لابن القيم ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية؛ ، المحقق: محمد عزير شمس، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة، سنة النشر: ١٤٢٩ه .
٤١- كتاب العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، د. براهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال .
٤٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ،الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
٤٣- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر، لابن العماد، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، د. محمد سليمان داود، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، مصر، الاسكندرية .
٤٤- الكشف والبيان، للثعلبي الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ،دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت - الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢ هـ
٤٥- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر ، المعروف بالخازن ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٤٦- لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف: عبد الرحمن السيوطي ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، سنة النشر: ١٤٢٢ه - ٢٠٠٢م .
٤٧- اللباب في علوم الكتاب ،أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ،دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، الطبعة : الأولى - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م
٤٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم الدمشقي ،الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ، ١٤٢٥هـ.
٤٩- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، اعتنى به: محمد باسل السود ، الطبعة الثانية: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، سنة: ١٤٢٤ه - ٢٠٠٣م .
٥٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: ابن عطية الأندلسي ، تحقيق: عبد الله الأنصاري، و عبد العال السيد ،الناشر: وزارة الأوقاف، قطر، سنة النشر: ١٤٠٤هـ.

٥١- المحيط في اللغة، المؤلف: الصاحب بن عباد، تحقيق: محمد آل ياسين، الناشر: المعارف ، بغداد .
٥٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية ، المحقق: محمد المعتصم بالله ،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ .
٥٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ،المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون ،إشراف: د عبد الله التركي ،الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
٥٥- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ،الناشر: دار طيبة للنشر، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ .
٥٦- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ،المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ،الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م
٥٧- معجم مقاييس اللغة ، المؤلف: أبي الحسين أحمد بن فارس ، اعتنى به : محمد عوض مرعب ،الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، سنة ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .
٥٨- مفاتيح الغيب ، ويسمى (التفسير الكبير) المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، سنة النشر: ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
٥٩- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ،المحقق: صفوان الداودي ،الناشر: دار القلم، دمشق ، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ
٦٠- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي ، تحقيق: محمد الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ،الطبعة الأولى: ١٤٠٤ه .
٦١- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، المحقق: عبد المقصود بن عبد الرحيم ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.
٦٢- وجوه القرآن، المؤلف: أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري، تحقيق: نجف عرشي، الناشر: دار النوادر للبحث العلمي، مصر سنة النشر:١٤٣٣ه – ٢٠١٢م .
٦٣- الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، المؤلف: مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: د. حاتم الضامن، الناشر مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ

٦٤- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، المؤلف: هارون بن موسى القارئ ، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام العراقية .
٦٥- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني ، تحقيق: عربي عبد الحميد ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى :١٤٢٤هـ .
٦٦- الوجوه والنظائر، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٨ه .
٦٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.